النحس المتشائل؛ وأبله القرية الذكي. وإذا كان بعض الجمهور العربي قد اعترض بالقول: إن المسرحية لا تبرز «وحشية» الاحتلال، فما ذلك إلّا لأن هؤلاء أخطأوا تقييم ما يشكل بحق إحدى نقاط القوة فيها: تصوير عنف الاحتلال، بوصفه عنفاً يومياً دائباً، يتمثل قبل كل شيء، في فرضه على أهل البلاد حياة خواء مستلبة تمزق انسانيتهم في كل حين.

أما من حيث الأسلوب المسرحي، فقد اعتمدت الفرقة مزيجاً من البرختية الجديدة، والايمائية، وكوميديا «التهريج الرفيع» — إذا صح التعبير. ولا شك أنه يمكن أن يؤخذ على المسرحية عدد من الثغرات التقنية، لعل أهمها افتقارها إلى الانضباط أحياناً، وكونها محشوة بعدد من الأفكار الرئيسية أكثر مما يجب، وبالتالي ميلها إلى الصخب والاستطراد. لكن ذلك كله لم يحجب، من جهة، القوة الأساسية الكامنة فيها والتي مكنتها من الوصول إلى الجمهور والتأثير فيه، ولا حجب، من جهة ثانية، بعض المشاهد الرائعة التي تبدّى فيها ذلك السحر الذي هو المسرح.

ولقد استحوذت المسرحية على تعاطف عدد من النقاد الذين راجعوها في الصحف الرئيسية، فكتبت روزاليندا كارن في صحيفة «فايننشال تايمز» تقول: إن المشهد الختامي الذي يخرج فيه محجوب من التابوت ليحيا ثانية «رمز لمقاومة الفلسطينيين. ومع ذلك فليس هناك في المسرحية رجال عصابات. والمزاج السائد بعيد عن البسالة. ذلك أن المسرحية، رغم دعوتها إلى التحرر الوطني، تستمد قوتها من شيء آخر: من التفاصيل الاجتماعية الدقيقة، والتناقضات الأخلاقية التي يواجهها العامل العربي العادي في إسرائيل والمناطق المحتلة».

وأضافت كارن: ان مسرح «ريفرسايد استديوز» صرح أن المسرحية ليست معادية لاسرائيل، ولكن «هذا هراء صحيح أن لا أحد يذكر منظمة التحرير الفلسطينية ولكن روحها تقف خلف المسرحية بكاملها. ان محجوب يمثل سكاناً مسحوقين. ولا يمكن أن يكون لمحاولتيه الفاشلتين الهرب من التابوت، ونجاحه في الأخير، إلّا تفسيرا واحد لا غير». وقالت الناقدة: إن كون المسرحية ذات علاقة مباشرة حميمة بتجربة ممثليها، وهم أنفسهم الذين كتبوها جماعياً، «يلمع نفاذاً، خاصة في النصف الأخير منها، حيث تصور بقوة إغراءات التعامل مع الاحتلال. وبقدر مساوٍ، فإن التكنيك المستخدم يخلق بعض الملل وقدراً معيناً من التفكك والتخبط والهستيريا، رغم أن معرفة اللغة تساعد بلا شك».

أما نيد شواليت، فكتب في صحيفة «التايمز»: ان المسرحية تحتوي على «قدر كبير من التجريد، ولكن مع الحيوية الكاريكاتيرية العفوية التي تسم المسرح الفولكلوري» ولخص الحبكة بالقول: إن الفرقة «بدءاً من ولادة محجوب، مروراً بالحكم الأردني وحرب الأيام الستة، إلى أيلول [سبتمبر] الأسود ١٩٧٠ إلى هجرته إلى الولايات المتحدة، وعودته منها، تعمد إلى تتبع حياته، بينما يحاول هو بإستمرار الهرب من تابوته». ووصف شخصيته بأنها شخصية الإنسان العادي «عاثر الحظ». وأضاف: ان الفرقة «تمنح الكثير من الدعاية الجيدة». وإنه «لولم يحظر الرقيب الاسرائيلي عرض المسرحية لبدت على أنها ذلك النوع من القصة والسخرية اللتين يضمهما مجتمع حر: تنظيم واضح ذكي لصور وأفكار تذهب إلى أن القيام بأعمال بطولة صغيرة هي قدر الفلسطيني».

وكتب الناقد المسرحي لصحيفة «الغارديان»: ان المسرحية «تمزج السيرك بالخزافة بالسجال، لتروي قصة طراز من الأوغاد المقدامين يمثله محجوب الذي يتحدى علية القوم والبيروقراطيين والديماغوجيين، قبل أن يهلك في النهاية» وأضاف: إن الممثلين «لم يميلوا إلى قصفنا بالوقائع السياسية، بل صوروا خلفية غير صارخة، وثبتوا عليها ابتسامة تسليم عاثر».

ولم تستطع صحيفة «جويش كرونيكل» الصهيونية تجاهل الحدث، فكتبت تحت عنوان: «نظرة فلسطينية هزلية إلى الحياة» تقول: إن المسرحية «سياسياً حاذقة، وليست مجرد منشور لمنظمة التحرير الفلسطينية. وهي تبين الاسرائيليين خشنين وهستيريين، ولكنها أيضاً تصور العرب على أنهم كذلك. غير أنه